

مقدمة الكتاب

عزيري القارئ ..

ولله المثل الأعلى .. لو أن إنساناً ما أرسل إليك خطاباً ، فهل تلقيه جانباً ولا تقرأه أم تفتحه وتقرأه لتعرف ما جاء به ؟ فإذا كان به ما ينفعك عملت به .. وإذا كان به ما يضرك تجنبت ما حذرك منه .

وهكذا القرآن .. جاءك من عند الله - عز وجل - لتقرأه وتتدبره وتعمل بما أمرك وتنتهي عما نهاك عنه . قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد]

وماذا أنت فاعل عندما تقف بين يدي الله - عز وجل - يوم القيامة ويسألك : هل قرأت القرآن ؟ هل تدبرته ؟ هل عملت بما جاء به ؟ فإذا قلت : نعم . فإنك من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وكانت لهم جنات الفردوس نزلاً ، خالدين فيها لا يبعثون عنها حولا .

وأما إذا قلت : لا . فسيسألك الله - عز وجل - لماذا أرسلت لك القرآن ؟ ولماذا أرسلت لك محمد ﷺ ؟

عزيري القارئ ..

إذا كنت تريد الآخرة فلا خيار لك إلا أن تقرأ القرآن وتتدبره ، وتخضع تمام الخضوع لما جاء به . وتذكر قول علي بن أبي طالب في تعريف التقوى : الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والرضا بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل .

وإذا سمح لي أن أقول : « العمل بالتنزيل خوفاً من الجليل ، والرضا بالقليل استعداداً ليوم الرحيل » رضي الله عنه وأرضاه .

* * *

سورة الفاتحة

من أسمائها:

- 1- الفاتحة.
- 2- فاتحة الكتاب.
- 3- أم الكتاب.
- 4- أم القرآن.
- 5- الحمد لله رب العالمين.
- 6- السبع المثاني.
- 7- القرآن العظيم.
- 8- الصلاة.

* * *

فضائل سورة الفاتحة

1- الفاتحة تمنع غضب الله. (الطبراني)

2- في الرقية : عن أبي سعيد الخدري قال : « كنا في مسير لنا فنزلنا، فجاءت جارية فقالت: إن سيد الحي سليم وإن نفرنا غيب، فهل منكم من راق؟ فقام معها رجل ما كنا نأبه برقيه، فرقاه فبرئ، فأمر لنا بثلاثين شاة وسقانا لبنا. فلما رجع قلنا له: أكنت تحسن رقية أو كنت ترقى؟ قال: ما رقيت إلا بأم الكتاب. قلنا: لا تحدثوا شيئاً حتى نأتي -أو نسأل- النبي ﷺ. فلما قدمنا المدينة ذكرناه للنبي ﷺ، فقال: وما كان يدرى أنها رقية، اقسموها، واضربوا لي بسهم ». (البخاري)

3- قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله في التوراة ولا في الإنجيل مثل أم القرآن».

4- قال رسول الله ﷺ: «إذا وضعت جنبك على الفراش وقرأت فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد، فقد أمنت من كل شيء إلا الموت».

5- روى مسلم في صحيحه والنسائي في سنته عن ابن عباس قال: بينا رسول الله ﷺ وعنده جبريل، إذ سمع نقيضاً فوقه، فرفع جبريل بصره إلى السماء فقال: هذا باب قد فتح من السماء ما فتح قط. قال: فنزل منه ملك فأتى النبي ﷺ فقال: أبشر بنورين قد أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك؛ فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لم تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته.

* * *

البداية

وأنا أقرأ القرآن الكريم ذات مرة تذكرت قول الله - عز وجل - : ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [النساء].

﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [محمد].

فبدأت بتدبر سورة الفاتحة .. وسألت نفسي لماذا جاء عنها ما يلي:

1- ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴾ [الحجر].

2- قول رسول الله ﷺ: «أم القرآن هي السبع المثاني والقرآن العظيم». [البخاري].

3- عن أبي سعيد بن المولى: قال رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن؛ الحمد لله رب العالمين، هي السبع المثاني والقرآن العظيم». [البخاري].

4- «أعظم سورة في القرآن: الحمد رب العالمين» حديث شريف [البخاري ومسلم].

5- لماذا هي السورة الوحيدة التي تبدأ آياتها بآية البسملة ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ ١ ﴾ بخلاف سورة النمل ﴿ إِنَّهُ، مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ﴿ ٣٠ ﴾ الآية؟

6- لماذا وضعت في صدر القرآن لتكون أول سورة تقرأ في كتاب الله؟

7- لماذا تقرأ هذه السورة بالذات في كل ركعة؟ أي تقرأ سبع عشرة مرة في اليوم الواحد، وهي عدد ركعات الصلوات المفروضة، هذا بخلاف ركعات صلوات السنن. اقرأ الأحاديث الثلاثة التالية:

- «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب» [البخاري].

- «لا صلاة إلا بفاتحة الكتاب» [مسلم].

- «من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم الكتاب فهي خداج - ثلاثاً - غير تام»
[البخاري].

8- لماذا هي السورة الوحيدة التي عند ختام قراءتها يقول القارئ والمستمع :
«آمين»؟ أسوة برسول الله ﷺ الذي علمه جبريل ÷ أن يقول بعد قراءة الفاتحة:
«آمين». فهي من كلام جبريل وليست كلمة من القرآن ، ومعناها استجب يا رب
فيما دعوناك به. [الشعراوي].

وعن ابن شهاب عن رسول الله ﷺ: أنه كان إذا فرغ من قراءة أم القرآن رفع
صوته وقال: «آمين». والموافقة في القول والزمان.

9- عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال : «إذا أمَّن القارئ فأمنوا، فإن الملائكة
تؤمن، فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له ما تقدم من ذنبه» [البخاري].

10- عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قال أحدكم: «آمين». وقالت
الملائكة في السماء: «آمين» فوافقت إحداهما الأخرى غفر ما تقدم من ذنبه»
[البخاري].

11- عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ قال : «إذا قال الإمام : غير المغضوب
عليهم ولا الضالين. فقولوا : «آمين». فمن وافق قوله قول الملائكة غفر له ما تقدم
من ذنبه» [البخاري].

12- لماذا هي السورة الوحيدة التي يجيب الله - سبحانه وتعالى - على قارئها؟
كما ورد في الحديث القدسي، حيث يقول الله عز وجل : «قسمت الصلاة بيني وبين
عبدني نصفين ولعبدني ما سأل ، فإذا قال العبد: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢﴾
قال الله عز وجل : حمدني عبدي . فإذا قال : ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢﴾ قال الله عز وجل :
أثنى عليَّ عبدي . فإذا قال: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ﴿١﴾ قال الله عز وجل : مجدني عبدي
فإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِيذُ﴾ ﴿٥﴾ قال الله عز وجل : هذا بيني وبين عبدي

ولعبي ما سأل. وإذا قال: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ ① صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ② قال الله عز وجل: هذا لعبدي ولعبي ما سأل .

13- لماذا هي أم الكتاب وأساس الصلاة؟ إذ يقول فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي - رحمه الله - في تفسيره ما نصه: «علينا أن نتبه ونحس نقراً الحديث القدسي أن الله سبحانه وتعالى يقول: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» ولم يقل قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي .. ففاتحة الكتاب هي أم الكتاب وهي أساس الصلاة.

14- سميت الفاتحة بالصلاة .. كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ ③ [الإسراء] أي: بقرءتك ، كما جاء مصرحاً به في الصحيح عن ابن عباس.

* مما تقدم نجد أن الحديث القدسي قسم الصلاة (الفاتحة) إلى نصفين كما يلي:

النصف الأول:

1- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ④ ويقول عنها رسول الله ﷺ: «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بسم الله الرحمن الرحيم أقطع» أي: ناقص، فيه شيء ضائع .

2- ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ⑤ وهي حمد العبد لله.

3- ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ⑥ وهي ثناء العبد على الله.

4- ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ⑦ وهي تمجيد العبد لله.

ثم:

5- ﴿إِلَهِكَ نَعْبُدُكَ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ⑧ وهي التي بين الله وبين العبد، وللعبد ما سأل.

النصف الثاني: وآياته هي:

6- ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وفيها يطلب العبد من الله الهداية، ويطلب الصراط المستقيم.

7- ﴿صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ وليس أي صراط، بل صراط الذين أنعم الله عليهم.

* وأردت أن أتدبر المعاني الأربعة التالية:

1- معنى: «إياك نعبد وإياك نستعين» .

2- معنى: «اهدنا» .

3- معنى «الصراط المستقيم» .

4- من هم الذين أنعم الله عليهم؟

أول سورة في القرآن وضعت للتلاوة وللتدبر وللعمل لها.

ولأن الحديث القدسي يقول عن الفاتحة: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي، ولعبي ما سأل»، فتكون الفاتحة تلاوةً وتدبراً وعملاً - كما سيرد في هذا الكتاب.

* * *